ASJP Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص29-39

دلالة المشاهد النباتية والحيوانية في الحياة الدينية لمجتمع كويكول من خلال الأنصاب الرومانية

The meaning of the floral and faunal scenes in the religious life of the Cuicul community through the Roman stelae

غواس زهراء *
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
zahra.ghouas@univ-alger2.dz

سراج نجمة رميلي
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
nedjma.serradj@univ-alger2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/11
تاريخ القبول:
2021/06/01

الكلمات المفتاحية:
✓ الرومان
✓ الرمزية
✓ الأنصاب
✓ المعتقد

الملخص:

مرت حياة الإنسان القديم بعدة مراحل حاول من خلالها ترجمة أفكاره وحياته عبر الفنون كالرسم والنقش على المواد الصلبة، وطوّر مع مرور الزمن تقنيات التعبير عنها باعتماد منهج المعاني والدلالات لترك بصمته، فكانت بمثابة لغة خفية جسّدها على الواقع. وقد احتلت المشاهد النباتية والحيوانية أغلب اللوحات الفنية التي تركها الإنسان القديم، حيث عبّر من خلالها عن اعتقاداته وحمّلها رسائل ذات معاني، وتظهر من خلال المنحوتات الخاصة بالأنصاب الرومانية لمدينة كويكول، كبصمة ورمز لمكانة المعتقد في حياته اليومية وكنتيجة لتداخل الحضارات السابقة لتشكّل امتزاج فكري حضاري يعكس مستوى ثقافة الإنسان القديم.

Article info

Received:
11/05/2021
Accepted:
01/06/2021

Key words:
✓ Roman
✓ Symbolism
✓ Stelae
✓ Belief

Abstract:

The ancient life went through many stages in which man tried to translate his thoughts and life through the arts, such as drawing and engraving on solid materials. Then, he developed techniques to express them by adopting the meanings and semantics approach to leave his mark, so it was like a hidden language incarnated in many physical forms. The floral and faunal scenes occupied most of the masterpieces left by ancient man, through which he expressed his beliefs and transmitted the meaning of it messages, and that appears on the carvings of the roman stelae in the city of Cuicul, considered as a symbol of belief in human life and as a result of interference of previous civilizations, to form a cultural and intellectual intermix that reflects the level of the ancient human culture.

* المؤلف المرسل

مقدمة

اهتم الإنسان القديم بالتعبير عن حياته اليومية من خلال الفنون، فاعتمد على عدّة وسائل لتجسيد أفكاره ضمن قالب مادي يحمل بصمات الحضارات السابقة وأنماط عيشها. بدأ الإنسان باستغلال ما يوجد بالطبيعة لتلبية حاجاته المعيشية ولذلك أصبحت الطبيعة ذات مكانة مقدسة لديه، كما استعمل ما وجد بها للتعبير عن مشاعره واعتقاداته من خلال الرسم والنحت، فكانت الرسومات الصخرية بالطاسيلي أكبر دليل على قدرة الإنسان على تمثيل ما يجول بخاطره وما يعيشه في حياته اليومية. وقد استمر عبر العصور والحضارات اللاحقة في تجسيد أفكاره على الشواهد المادية، إلى أن وصل إلى إتقان فن النحت لتمثيل الأساطير القديمة والمعتقدات السائدة في مجتمعه وتخليد الأعمال الدينية لإرضاء الآلهة التي يقدّسها.

من المعروف أنّ الأنصاب الدينية والجنائزية التي خلّفها الإنسان منذ القديم استمرت إلى العهد الروماني، حيث عمل على تطوير الفن التصويري بتقنية النحت ليصبح الشكل أقربا للواقع من سابقه. وقد اكتسبت أهمية كبيرة نظرا للمعلومات التي تحملها والخاصة بالجانب الديني والعقائدي الذي شغل تفكير صاحبها، إذ يقوم بتخليد ذاكرة الطقوس والمراسيم التي تقام على شرف الآلهة أو الموتى من خلال الرموز والأشكال.

ومن المدن الغنية بهذا النوع من الأنصاب تحتل مدينة كويكول مكانة هامة في هذا الصدد، إضافة إلى احتوائها على كم هائل من هذه المعالم، فهي من المدن التي عرفت حياة دينية نشيطة ومعقدة نظرا لتداخل المعتقدات المحلية والوافدة، ويظهر ذلك جليا على الأنصاب الدينية والجنائزية المكتشفة بالمدينة من خلال المشاهد المنحوتة عليها والتي كانت محل دراسة من قبل لوغلي Leglay خاصة من الجانب الوصفي. ومن بين الصور المتواجدة بوفرة على الأنصاب نجد التمثيلات الحيوانية والنباتية التي تدل على أفكار ودلالات معينة أُريدَ التعبير عنها وتخليدها كدليل على أهميتها في الحياة اليومية للإنسان القديم.

فما دلالة هذه الأشكال والمشاهد؟ وما مكانتها في الحياة الدينية للإنسان الكويكولي؟ يمكن أن تكون دالة على تنوّع الثروة النباتية والحيوانية في المنطقة، أو ربما تحمل قوى خفية يؤمن بها المجتمع. للإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا تسليط الضوء على بعض الأنصاب النذرية والجنائزية المتواجدة بمدينة كويكول الأثرية ("**جميلة**" حاليا بولاية سطيف) بهدف التوصّل لوظيفة ورمزية هذه المشاهد على الأنصاب إضافة إلى دورها في الحياة الدينية للمجتمع الكويكولي، وذلك من خلال الملاحظات المسجّلة عند الانتقال للميدان لأجل المعاينة وإسقاطها على الدراسات القديمة والجديدة في مجال الرمزية، بحيث نعالج في الشطر الأوّل للمقال بعض المشاهد النباتية على هذه الأنصاب وفي الشطر الثاني المشاهد الحيوانية.

1. المشاهد النباتية

ساهمت النباتات في التعبير عن الأشياء والأحاسيس المختلفة وذلك على أمد العصور والمناطق عبر الحضارات القديمة، وكذلك في إظهار الأفكار المرتبطة بالحياة الإنسانية من الأساطير، الميتولوجيا، العادات والتقاليد التي تعكس ثقافة الإنسان، والتي عبّر عنها من خلال اختياره لعنصر نباتي[1] للدلالة على معنى محدّد

أو معاني مرتبطة بنفس المفهوم حتى وإن لم توجد علاقة بين شكل النبتة والمعنى الذي تدل عليه. سوف نتطرق إلى البعض من هذه المشاهد النباتية الممثلة على الأنصاب بمدينة كويكول القديمة والمتمثلة في السنابل، سعف النخيل، الزهور، الغصينات، الأوراق والأكاليل.

1.1. السنابل

يعدّ موسم الحصاد مصدرا للأساطير الخاصة بالخصوبة المقدّسة لدى الشعوب القديمة من جهة، حيث ترمز السنابل إلى الخصوبة[2] والوفرة، ومن جهة أخرى تدل على ثمرة العمل الناتجة عن الأرض، الإلهة الأم[3]، وهي بذلك تمثّل رمز الميلاد والموت والحياة بعد الموت[4].

لقد عبّرت باقة السنابل في المشاهد التصويرية عن نهاية موسم الحصاد، أي رمزا لنهاية العمل. تعلّق باقة السنابل في مكان ظاهر إلى غاية الموسم القادم، وذلك تعبيرا عن الموسم المثمر، وبمثابة جسر بين سنة حصاد جيّدة إلى سنة قادمة تكون مثل سابقتها أيضا، فهي بذلك تعتبر رمزا للأرض الخصبة[5].

من بين العناصر المجسّدة للزخارف الرمزية، تحتل السنابل المرتبة العليا حيث تنتشر على جلّ المشاهد كونها من الملاحق المهمة في الفترة الرومانية، إذ اعتبرت شمال افريقيا مخزنا لروما ومصدرا لثروتها وهي من الملاحق الخاصة بالإلهة إفريقيا.

اهتم الإنسان القديم بالعناصر التي تخرج من الأرض وما يتعلّق بالخصوبة، فكانت السنابل من أهم وأكثر المنتوجات وفرة لديه مما دفعه لتمثيلها على الأنصاب، وعادة ما تكون مرتبطة بالآلهة المؤنثة كإزيس Isis وديميتير Déméter أو الإله الرئيسي ساتورن Saturne[6].

ونجد السنابل بكثرة على أنصاب مدينة كويكول خاصة المتعلّقة منها بالإله ساتورن باعتباره الإله الغالب على أنصاب المدينة، إذ تتجسّد كملاحق يحملها الإله أو تحملها العفاريت المحيطة بالإله الرئيسي وتوجّهها نحوه[7] ليستمدّ قوّته من الأرض والطبيعة **(صورة 1 الجزء العلوي)**. إضافة إلى الجزء السماوي، فإنّ الجزء الخاص بالمهديين أو الجزء الخاص بالأضاحي يحتويان أيضا على هذه النبتة، إمّا يحملها إحدى المهديين أو تكون على شكل عنصر زخرفي معماري تزيّن واجهة النصب[8] **(صورة 2 السجل السفلي)**.

2.1. سعف النخيل

كان يعتقد في القديم أنّ سعف النخيل في المشاهد التصويرية هي تطوّر ونمو لسنابل القمح[9]، حيث تشبهها من حيث الشكل وتختلف في الحجم فقط، وتحمل تقريبا نفس الخصائص والدلالة المعنوية خاصة على المشاهد ذات الطابع الديني.

تعتبر النخلة أقدم شجرة في العالم حيث يروي بوزانياس Pausanias [10] عن النخيل التي توضع أمام المعابد الإغريقية، ووصفها بأنها أشجار مثمرة تحمل ثمارا غير صالحة للأكل لأنها لا تنضج بشكل جيّد في أيونيا، في حين أنّ فارون Varron [11] يرى أن النخيل المتواجدة في سوريا تحمل ثمارا، أما النخيل المتواجد في إيطاليا فهي غير مثمرة، ويضيف بلين Pline [12] أنّ أفضل الثمار هي ثمرة النخيل المتواجد في فلسطين.

وعليه فإنّ سعف النخيل لا يرمز بالضرورة للخصوبة عند اليونان لأنه نادر وعادة لا يحمل ثمارا، عكس المشرق وضواحي البحر المتوسط حيث تمثّل النخلة رمزا للوفرة والخصوبة باعتبارها شجرة مقدّسة، ولذلك نجد الآلهة الممثلة مع سعف النخيل كلها آلهة خاصة بالخصوبة[13].

وباعتبار النخلة شجرة مقدّسة فهي شجرة الحياة حيث تعبّر أوراقها رمزيا عن الفوز بالألعاب المكرسة للآلهة المتعلّقة بالشمس، حيث استعمل سعف النخيل لدى الإغريق لصنع التيجان لمنحها للفائزين في الألعاب[14]، وهي عادة قديمة جاء بها ثيزي Thésée عند عودته إلى كريت وتنظيمه لألعاب على شرف الإله أبولو Apollon، وعليه يدل سعف النخيل في بعض المشاهد على النصر.

ومنه فهي أيضا شجرة النور ورمز الفوز والنجاح والسلام والفرح، فأوراقها دائمة الاخضرار، ترمز للمجد والحماية، للحياة الأبدية والحياة بعد الموت، لذلك نجد تجسيد سعف النخيل على واجهة الأنصاب (صورة 3) وهي موجهة نحو السماء على شكل أعمدة ترمز للروح المغادرة نحو السماء ولفوز المتوفي بالحياة الثانية الأبدية[15].

3.1. الزهور

يعتبر شكل الزهرة في الأنصاب الجنائزية المظهر الجمالي الزخرفي الذي يدل على الرموز السماوية الفلكية المتمثلة في النجمة والقرص التي ترمز إلى الشمس[16]، فالصورة 4 تمثل شكل الزهرة في أعلى النصب حيث تتوسط عنصر زخرفي نباتي. كما يوجد نوع آخر من الزهور الممثل بكثرة على الأنصاب الدينية وهو زهرة اللوتس **(صورة 4 على شكل أكروتير يخرج منها رأس إنسان)** للدلالة على الميلاد، كما تظهر في السجل العلوي على أطراف العفاريت المحيطة بالإله الرئيسي[17]، وهي من الزهور المعروفة لدى الشرقيين استعملت لأغراض تزيينية وسحرية، ومن مميزاتها أنها تغلق على نفسها عند غروب الشمس، وهي بذلك من الأزهار المعبّرة عن النور والصفاء وتدل على الانسجام الكوني وميلاد الأرواح الجديدة الصافية[18]، وحسب الاعتقادات القديمة فهي تقوم برحلة ليلية إلى العالم الآخر وترمز بذلك إلى البعث والميلاد من جديد.

4.1. الغصينات، الأوراق والأكاليل

لقد اعتاد الأوفياء وضع النباتات على قبور أوليائهم وأصدقائهم بعد البكاء عليهم في المعبد، حيث يقومون بتعليق الأكاليل والتيجان الزهرية فوق القبور، وبالتالي أصبحت أزهارا ونباتات جنائزية بامتياز، تحتفظ طوال السنة بحياة سرية مقاومة آثار الفصول، إذ كان يعتقد قديما أنّ هذه النباتات تحتوي على حرارة داخلية تمكنها من الاحتفاظ بأوراقها[19].

تمثل هذه النباتات الزخرفة التزيينية التي يعود تاريخها إلى العادات القديمة الأثينية[20]على الأنصاب، ترمز للحفلات والطقوس التي أقيمت في ذلك المكان بهدف الفوز بالخلود والحياة الأخرى. تمثل بعض الغصينات أيضا في الأشرطة الفاصلة بين السجلات[21] كعنصر تزييني **(صورة 5)**، كما قد تكون على شكل هلال موجّه

نحو الأعلى ويأخذ رمزيته **(صورة 6)**. تستعمل أيضا النباتات ذات الأوراق المسننة على العناصر المعمارية الممثلة على الأنصاب إذ يزيد شكلها رونقا خاصة بمداخل المعابد.

2. المشاهد الحيوانية

كانت المشاهد الحيوانية من المواضيع السائدة منذ العصور القديمة، حيث ظهرت مع ظهور الإنسان البدائي وتميّزت بالاستمرارية عبر العصور ليعبّر عنها الإنسان في مظاهر مختلفة من حياته، إذ تعددت أنواع وأشكال الحيوانات الممثلة على المخلّفات المادية القديمة والتي تحمل في الغالب دلالات حياتية وعقائدية. تحمل أنصاب مدينة كويكول عدّة مشاهد حيوانية دالة على معاني عديدة نتطرق لأهمها والمتمثلة في الطائر، الأسد، الثور، الكبش، الحمل والحصان.

1.2. الطائر

كان الاعتقاد السائد منذ القديم أنّ الروح تكون على شكل طائر يخرج من فم الإنسان عند موته، كما يعتقد أنّ هذه الروح تعود للحياة مرة أخرى على شكل طائر يدور حول الأحياء ويأتي في أحلامهم، فهي تعيد الجسم للحياة بعد قضاء أيامها في عالم الأموات لأجل تطهيرها[22]، فقد آمنت أغلب الشعوب القديمة أنّ الأرواح كلّها نقية ولها أجنحة تمكّنها من الانتقال من الأرض مغادرة للأجساد نحو السماء، وأنّ الروح تتخلص عند طيرانها من الشيخوخة وتنقذ نفسها من الموت[23].

من بين الطيور التي نجدها عادة في التمثيلات التصويرية؛ الحمامة، والتي تكون إما بجانب الآلهة الخاصة بالخصوبة[24]، أو برفقة صاحب الإهداء[25] **(صورة 7)**، وهي ترمز للبساطة والحنان[26]، وتمثل العلاقة بين آلهة الخصوبة وعبادتها، وتعبّر عن الصفاء والروح المطمئنة[27].

تعتبر الطيور واسطة بين السماء والأرض وتمثيلا للأرواح وكذا العالم اللامرئي وهي رمز للقوّة الحيّة للروح المنقَذة[28]، فنجد اختلاف في أنواع التمثيلات التصويرية لهذه الكائنات في مدينة كويكول كالبط الذي يرمز للآلهة المتعلّقة بالشمس[29] في بعض المشاهد التي تظهر على سجلات الأنصاب، كما يكون في بعض الأحيان ممثّل على شكل أكروتير[30] على الجوانب العلوية للأنصاب **(صورة 8)** وبذلك يمكن أن يدل على الأرواح المغادرة نحو السماء أو على اتجاهي الشرق والغرب[31]. في حين يرى البعض ومن بينهم فرجيل Virgile[32] أنّ الطائر يمثل الموت وأنّ فكرة الروح الممثلة على شكل طائر تحوّلت إلى فكرة أخرى وهي الروح التي يحملها الطائر نحو العالم الآخر[33]، وبذلك فالطائر لا يمثل الروح بحد ذاتها لكنه يلعب دور حاملها وناقلها.

2.2. الأسد

تحتل الأسود مكانة هامة في المشاهد والرسومات التي عبّر عنها الإنسان القديم، حيث أنّ إعادة نفس المشاهد تعبّر عن انبهار الفنانين بالحيوان إضافة إلى رمزيته العميقة في العالم الروحي[34]، وهو بذلك حيوان رمزي منذ القدم يعبّر عن إحساس عقائدي ديني. يتم وضع صورته في أعالي وسطوح القصور وجوانب المعابد

لحماية المداخل، وهو أيضا رمز جنائزي له القدرة على إبعاد الشر، يمثل الحذر والشجاعة والأبدية والاستمرارية كما يرمز للقوّة بكونه ملك الغابة[35].

يعتبر الأسد ملك الحيوانات الأرضية، وله خاصية الشمس أو النور نظرا لقوّته ولونه الذهبي الممثّل في لبدته التي تذكرنا بأشعة الشمس، فقد كان يعتقد أنّ الأسد ينام وعينيه مفتوحتين أي أنه يبصر دائما الضوء[36]. يرمز الأسد للحكمة والقوة والعدالة بتمثيله للعرش الملكي، كما يشير إلى الغضب والقوّة في المشاهد التي تظهره يزأر أو ينقض على فريسته[37] **(صورة 9 في السجل الأوسط أين يتوسّط الأسد الفارسين Dioscures برفقة أحصنتهما وهو منقض على فريسته)**. كما نجده في بعض الأنصاب ممثل على شكل أكروتير **(صورة 10)**، وعندئذ يرمز لشروق وغروب الشمس، أو لاتجاهي الشرق والغرب، أو الأمس والغد[38]، كما يمكن أن يكون حارس القبر فقط خاصة على المعالم الجنائزية[39]. يمكن أن يرمز أيضا إلى النار السماوية Feu céleste والتي تعبر من خلالها الأرواح في طريقها نحو السماء والنجوم[40]. ويقال في بلاد المور والنوميدي أن الأسد يمثل الإله ساتورن أو قوته، وتواجده إلى جانب الإله يقوي خاصيته الإفريقية والمحلية حيث يعبّر على خاصيته الجهنمية[41] إضافة إلى الخصوبة، **(صورة 11 تظهر الإله جالسا على الحيوان)**[42]، كما أنه يمثل الثروة الحيوانية لإفريقيا، حيث تم تمثيله إلى جانب الإلهة افريقيا التي تحمل على رأسها فروة رأس فيل وتظهر على العملات الذهبية الأولى التي سكّت احتفاء بالسيطرة الرومانية على إفريقيا وكرمز للسيادة والمُلك.

3.2. الثور

تواجد شكل الثور في التعبيرات التصويرية منذ القدم حيث أظهرت الرسومات الصخرية التي تعود إلى ما قبل التاريخ عدة تمثيلات لهذا الحيوان، كما جسدته الثقافة البونية المرتبطة بالإله بعل حمون خاصة على الأنصاب أين يكون مرفوقا بالشمس أو القمر. وقد كان هذا الثور أساسيا في الحضارات القديمة حيث توجد عدة أساطير تبيّن قوته كالثور السماوي لملحمة جيلجامش في بلاد الرافدين، وأسطورة الإله الليبي غورزيل الذي يحمل رأس الثور، وأسطورة المينوتور في بلاد الإغريق وبذلك فالثور يرمز للقوّة، الرجولة والشراسة، ويعبّر عن الخصوبة، حيث أنّ شكل قرونه تشبه الهلال، وعادة ما يكون حيوان خاص بالتضحية فيقدّم كقربان **(صورة 12 السجل الأخير)**[43]، إذ يمثل العلاقة الأبدية المتعلّقة بالخصوبة (الأرض) والموت (السماء) والحياة الثانية (البعث)[44].

4.2. الكبش والحمل

يعود ظهور مشهد الكبش إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث عبرت الرسومات والنقوش القديمة عن الحيوان بربطه مع الشمس والقمر. كما يظهر بعدها في الأنصاب البونية المتعلقة بالإلهة تانيت ويقوم مقام الإله الرئيسي بعل حمون في البعض منها، حيث يرمز للقوة وخصوبة الأرض[45]. حسب الأساطير القديمة، تتمثل وظيفة الكبش في إيجاد الماء بهدف إسقاطه من السماء على شكل مطر وهذا الاعتقاد يعود للفترة ما قبل الرومانية، تتجسد على الرسومات المتواجدة بالطاسيلي على شكل كبش فوق رأسه قرص الشمس[46]، ويستمر

هذا الاعتقاد إلى الفترات الحديثة باسم خطيبة أنزار المتعلقة بالاستمطار ولذلك فيعتبر رمزا للرخاء. وقد تم مزج هذه الرسومات بالإله أمون- رع المصري لذا اختاره الملوك النوميد للتفاخر به، حيث قاموا بتخليد صور رؤوسهم تعلوها قرون الكبش، كما تم مزج الآلهة الرومانية بالإله المحلي كجوبيتر- أمون وباكوس- أمون لخلق امتزاج ديني يشمل الاعتقاد المحلي والوافد.

يعتبر الكبش الحيوان المختار عادة لتقديمه كقربان خلال الطقوس المتعلقة بساتورن في العهد الروماني حيث يمد خصائصه المتعلقة بخصوبة الإله[47]، إذ يمثل استمرارية للمعتقدات المتواجدة من قبل، وتغلغلها في المجتمع ولفترات عديدة ورغم التواجد الروماني. يمثل الكبش عادة في السجل السفلي **(صورة 13)** أو في السجل الأوسط يمسك برأسه صاحب الإهداء على مذبح[48] **(صورة 14)** وذلك على شكل قربان مقدم لإله الخصوبة ساتورن.

أما الحمل وهو في العادة حيوان متعلّق بالإلهة Junon[49]، لكننا نجده بكثرة في الأنصاب المتعلقة بساتورن، إذ يرمز للحنان البراءة والصفاء[50]، ولذلك يتم تقديمه كقربان في الطقوس الخاصة بالاستبدال Substitution، حيث يأخذ مكان الطفل الذي كان سيقدّم للإله[51] **(صورة 15 تحمله المهدية أمام الإله)**[52].

5.2. الحصان

تظهر صورة الحصان على التمثيلات ما قبل الرومانية في شمال افريقيا خاصة عند القرطاجيين والنوميد حيث سكّت عدة عملات بصورة الحصان خاصة المتعلقة بالملوك كماسينيسا، سيفاكس، مكيبسا، أذربعل وغيرهم إذ تظهر صورهم على وجه العملات، ويمثل الحصان على ظهرها بمختلف الوضعيات. استمر تمثيل الحصان في الفترة الرومانية بهيئات عديدة خاصة على الأنصاب. فالحصان يعد من الحيوانات المفضّلة لدى الآلهة، يمتطيه الكثير منهم، كما يعتبر من الحيوانات الجهنمية التي تعبّر عن الثروات الطبيعية كالحديد والماء وبالتالي فهو رمز للحياة، حيث يقوم بالطّرق بواسطة أرجله على الأرض ليفجّر منابع المياه[53].

يحمل الحصان عدّة دلالات فقد يعبّر في بعض الأحيان عن الموت حيث كان يدفن مع الميت أو يقدم كقربان للمتوفي، كما قد يعبّر في الأنصاب الجنائزية على السفر نحو العالم الآخر[54] أو يشير إلى أنّ المتوفي كان فارسا **(صورة 16 يظهر الحصان بوضعية الحركية يمتطيه فارس)**، وقد يدلّ على خاصية الشباب والقوة والفرح والفوز خاصة على الأنصاب المتعلقة بقبور الشهداء[55]. يظهر الحصان أيضا برفقة الفارسين dioscures المرافقين للإله ساتورن[56] **(صورة 17)** اللذان يجوبان الفضاء على ظهر أحصنتهما.

خاتمة

مرت علاقة الإنسان بالحياة الخارجية بعدة مراحل جسّدها عن طريق الفنون وحاول التعبير عنها في البداية على الأدوات الصلبة الملموسة، لتستمر عبر الزمن إلى أن وصل إلى التمكّن من فن النحت الذي يعتبر أكثر دقة في عرض التفاصيل الخاصة بالمشاهد.

تعتبر الأنصاب ذات الطابع العقائدي من أهم المعالم التي تحمل مشاهد منحوتة، حيث عمل الإنسان على تخليد ممارساته عليها كرمز وبصمة على مروره في تلك الحياة ورغبته في حياة أخرى أفضل. ولهذا جسّد عدة صور منتمية لمشاهد ذات دلالات مختلفة، لا سيما المشاهد المتعلقة بالنباتات والحيوانات وأعطى لها صورة تدل على أهميتها في حياته.

بتنوّع هذه الكائنات الحية (نباتية أو حيوانية كانت) على الأنصاب اختلفت المعاني التي تحملها، وأغلبيتها تحمل معاني الأمل في العالم الآخر غير المرئي وكسب رضا المعبودات. فبالإضافة إلى استخدامها في الغذاء وصناعة الملابس وبناء المنازل، فقد تطورت أهميتها بالتطور الفكري للإنسان الذي أضاف استخدامات أخرى تواكب عصره ومستواه، خاصة بعدما زادت معرفته للخصائص السّرية لهذه الكائنات فاستخدمها للعلاج، للتزيين، للطقوس والشعائر الدينية. فقد كان من المعروف ارتباط الحيوانات والنباتات بالأساطير القديمة مما مكّنها من اكتساب معاني ودلالات توحي برمزية كل شكل حسب المجتمع والفترة الزمنية، ولا شك من اكتسابها لميزة التقديس التي ساعدت على استمراريتها عبر العصور ولم تبق حكرا على مكان وزمان واحد.

كما أفرزت الدراسة إلى أهمية المجال الديني لدى المجتمع الكويكولي من خلال المشاهد المعروضة على الأنصاب، يظهر ذلك جليا عبر العدد المعتبر من الأنصاب التي وجدت بالمدينة، فبالإضافة إلى دلالتها على استمرارية المعتقد عبر الزمن من خلال تمثيل مشاهد ذات السمة المحلية ومميزات الديانات الوافدة، فهي تدل على مكانة المعتقد لدى المجتمع الذي استمر رغم المشاكل الناتجة عن الصراعات الدينية خاصة في بداية الفترة المسيحية، والتي تميزت بتهديم الأشخاص الممثلة على الأنصاب خاصة تمثيلات الآلهة، وبالرغم من ذلك تمكن المجتمع الوفي للمعتقدات القديمة من الاستمرار في ممارساته من خلال تمثيل الرموز القديمة ذات المعاني الدينية تعكس نظرته للحياة بكل مكوّناتها. كما لوحظ أن جل الأنصاب كانت مهداة للإله ساتورن، الإله الرئيسي الأكبر، المشرف على الحياة الريفية وملقّن الزراعة، لذا توجه الأوفياء إلى تقديم القرابين له لأجل نيل رضاه في الحياة أو ما بعد الحياة، وقد مثل الإله مرحلة مهمة في تطوّر الديانة القديمة، فهو الرابط بين الحياة الوثنية المرتبطة بتعدد الآلهة والحياة المسيحية التي دعت إلى التوحيد وذلك كونه إله الآلهة، بالرغم من تواجد العديد من الآلهة فقد احتل المرتبة الأعلى بينهم وهذا ما يدعى بالفترة الانتقالية Hénothéisme.

بيّنت الأنصاب المعروضة في مدينة كويكول القديمة البعد الجمالي والوظيفي للمشاهد الممثلة عليها، فهي غنية بالمعلومات إذ تعتبر مرآة عاكسة لمظاهر الحياة المختلفة للإنسان القديم في الفترة الرومانية، خاصة الأنصاب العديدة الخاصة بالإله ساتورن حيث تظهر المستوى الاجتماعي، الديني والثقافي للمجتمع في تلك الفترة. وهذه الوجهة تتضح أكثر عند محاولة دراسة الفترات الانتقالية للمعتقدات القديمة لمختلف مدن المقاطعات، خاصة ما يرتبط بالامتزاج الديني الذي تتميّز به شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة والذي يظهر كثيرا عبر دراسة الرمزية.

الملاحق



صورة 1: نصب نذري
عن غواس زهراء



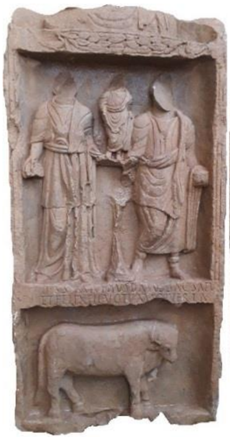
صورة 2: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 3: نصب جنائزي
عن غواس زهراء



صورة 4: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 5: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 10: نصب جنائزي
عن غواس زهراء



صورة 9: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 8: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 7: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 6: نصب جنائزي
عن غواس زهراء



صورة 11: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 12: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 13: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 14: نصب نذري
عن غواس زهراء



صورة 15: نصب نذري
عن غواس زهراء





صورة 17: نصب جنائزي عن غواس زهراء	صورة 16: نصب نذري عن غواس زهراء

الهوامش:

[1] BERNER (L.), (1962), « La symbolique des fleurs », in ; Bulletin mensuel de la Société linnéenne de Lyon, 31e année, num 5, mai, p. 161.
2 VERNET (G.), (1859), précis de mythologie grecque et romaine, librairie de Co.Lan. Brinkman, Amsterdam, p. 332.
3 BERNER (L.), op.cit. p. 162.
4 OESTERREICHER (M.), MALLWO, (1990), dictionnaire des symboles, brepols, p. 135.
5 CAUFRIEZ (A.), (1989), « Le bouquet d'épis », in ; Recherches en anthropologie au Portugal, num 1, p.p. 34.35.
6 F.MUSSCHE (H.), (1955), « Le rameau de palmier et la gerbe d'épis, attributs de la Tychè gréco-romaine », in ; Antiquité classique, t24, fasc. 2, p. 431.
7 LEGLAY (M.), (1966), saturne africain, monument, t.II, édition de Boccard, Paris, p. 215. Voir LEGLAY (M.), (1952), « les stèles à saturne de Cuicul », B. S. A. Libyca, tome 1, pl.V, fig.1, p.44.
8 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 225 voir LEGLAY (M), les stèles, op.cit. pl.II, fig.1, p.41.
9 F.MUSSCHE (H.), op.cit. p.p. 431.434.
10 PAUSANIAS, Béotie, livre IX ; Chap. XIX, 8.
11 VARRON, De re rustica, II, 1, 27.
12 PLINE, Histoire naturelle, livre XIII, 26.
13 F.MUSSCHE (H.), op.cit.p.p. 435.436.
14 Ibid. p.p. 431.434.
15 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p. 233.
16 FERCHIOU (N.), (1998), « Sur l'iconographie religieuse dans l'ancien territoire de la Carthage punique : un fronton de chapelle de la région de Bou Arada (Tunisie) », in ; Antiquités africaines, n° 34, p. 173.
17 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 217 voir LEGLAY (M), les stèles, op.cit. pl.IV, fig.1, p.43.
18 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p.189.
19 PRIEUR (J.), (1986), la mort dans l'antiquité romaine, de mémoire d'homme, l'histoire, ouest France université, p. 163.
20 Ibid. p. 76.
21 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 228. Voir LEGLAY (M.), les stèles, op.cit. pl.III, fig.4, p.42.
22 TURCAN (R.), (1959), « L'âme-oiseau et l'eschatologie orphique », in ; Revue de l'histoire des religions, tome 155, num1, p.p. 33.35.
23 Ibid. p.p. 36.39.
24 FERCHIOU (N.), op.cit. p. 61.
25 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 220.

26 VERNET (G.), op.cit. p. 326.
27 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p. 78.
28 Ibid. p. 223.
29 VERNET (G.), op.cit. p. 339.
30 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 213. Voir LEGLAY (M.), les stèles op.cit. pl.I, fig.4, p.40.
31 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p. 47.
32 VIRGILE, (1991), Enéide, IV, Gallimard, 460-463.
33 PRIEUR (J.), op.cit. p. 156.
34 DARAS (Ch.), (1965), « Les lions dans la symbolique romane en Angoumois », in ; Bulletin monumental, tome 123, num 2, p. 119.
35 Ibid. p.p. 121.124.
36 PRIEUR(J.), op.cit. p. 157.
37 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 229. Voir LEGLAY (M.), les stèles, op.cit. pl.VIII, fig.4, p.47.
38 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p.p. 186.187.
39 CUMONT (Fr.), (1942), recherches sur le symbolisme funéraire des romains, librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, p. 160.
40 CUMONT (Fr.), (1911), « Les symboles astraux », in ; Revue des études anciennes, tome 13, n° 3, p. 380.
41 CORBIER (P.), GRIESHEIMER (M), (2005), l'Afrique romaine, 146 av.J.-C. 439 ap.J.-C., Ellipses, Paris, p. 121.
42 LEGLAY (M.), les stèles op.cit. pl.VII, fig.2, p.46.
43 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 223. Voir LEGLAY (M.), les stèles, op.cit. pl.V, fig.3, p.44.
44 CORBIER (P.), GRIESHEIMER (M.), op.cit. p. 295.
45 Ibid. p. 36.
46 CAMPS (G.), (1991), « Bélier à sphéroïde, gravure rupestre de l'Afrique du nord, encyclopédie berbère », Encyclopédie berbère, 9.
47 CORBIER (P.), GRIESHEIMER (M), op.cit. p. 121.
48 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 219. Voir LEGLAY (M), les stèles, op.cit. pl.II, fig.3, p.41.
49 VERNET (G.), op.cit. p. 328.
50 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p. 6.
51 CORBIER (P.), GRIESHEIMER (M), op.cit. p. 122.
52 LEGLAY (M.), les stèles, op.cit. pl.I, fig.3, p.40.
53 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p.66.
54 PRIEUR (J.), op.cit. p. 154.
55 OESTERREICHER (M.), MALLWO, op.cit. p.66.
56 LEGLAY (M.), saturne, op.cit. p. 233. Voir LEGLAY (M.), les stèles, op.cit. pl.VI, fig.4, p.45.